نظرات تربوية في مسائل خليجية

د. عبد الحليم خلدون الكناني*

هيأت لي ظروف العمل في منظمة (اليونسكو) بباريس خلال ربع قرن ارة لمدن الخليج والجزيرة العربية مرات منذ عام ١٩٥٨ . كما هيأت لي اسبات الاتصال بالمسئولين فيها عن الثقافة والتربية والاعلام والتخطيط ، تابعة نمو المنطقة المادي والحضاري ، والتأمل في المنجزات المختلفة التي تمت هـــا .

كانت آخر زيارة لي لدول الخليج والجزيرة العربية في صيف ١٩٧٥ م ١٣٩٥هـ) ، ثم عدت مرة أخرى للكويت في ختام عام ١٩٧٥م لاشهد في عاصمتها تمر (قضايا تنمية الموارد البشرية في الوطن العربي) وهو مؤتمر نظمـــه جلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بمشاركة اتحاد « خريجي الجامعـــات مريكيين العـــرب » .

استرعت نظري خلال زياراتي المتكررة امور عدة تستحق التمعن العميق لدراسة المفصلة . واكثرها امور مصيرية تتطلب الحل العاجل ، لكنها تركت (قائمة الانتظار) املا في أن يجد لها المستقبل حلولا قريبة مقبولة .

من أهم هذه الامور **وضع سياسة تربوية خليجية ، والعمل على تفادي صدمة الحضارية ، وتوطين الوافدين للعمل في الخليج والجزيرة العربية .**

معالجة هذه المسائل الثلاث التي قصرنا عليها هذا البحث ليست بالعمل

---

* يعمل مديرا لعلاقات اليونسكو بالدول العربية . وقد شغل اليونسكو عدة مناصب خلال فترة عمله منذ سنة ١٩٥٢ ، منها : مديرية دائرة البعثات الخارجية والمنح والهجرة الكفاءات . حصل على شهادة الدكتوراه في الادب من جامعة لندن سنة ١٩٤٨ ، كما انتخب ســـنة ١٩٤٩ عضوا للجمعية الملكية الاسيوية في انكلترا . درس في كليتي الاداب والتربية في الجامعة السورية من ١٩٤٨ ـــ ١٩٥٢ .

تميز عمله في اليونسكو بتنظيم عدة مؤتمرات منها : مؤتمر وزراء التربية ووزراء التخطيط العرب في بيروت (١٩٦٠) ، وليبيـــا (١٩٦٦) ومراكش ١٩٧٠ .

كتب عدة كتب ومقالات منها : « دروس الادب ». و « تطور الغزل في الادب العربـــي » رسالة دكتوراه و « مشكلات التربية في العالم العربي » مقال .

« الجامعات : ماضيها وحاضرها ومستقبلها » كتاب تحت الطبع .

السهل . ومن الظلم مطالبة المربين وحدهم في ايجاد حلول لها ناجعة ، او تذليل مصاعبها . لكنا نجد عند التأمل مفاتيح كثيرة في يدي التربية معينة ع تيسير حلها وفتح مغاليقها . والغاية من هذا البحث عرض بعض النظرا التربوية المعينة على معالجة هذه المسائل الخليجية التي هي ، في الواقع ، مشكلات العالم العربي الكبرى ، على كثرة مشكلاته وخطورتها !

ازدهرت التربية في الخليج ازدهارا ظاهرا . وهي كما نعلم حصيلـ العوامـل التـاليـة :

ا ــ التربية التليدة التي جاءته من الماضي عن طريق معلمي الكتـاتي ومدرسي المساجد . وهي نوعان : نوع جاء كما خلفه الماضي لابسا رداء القرن الثامن عشر والتاسع عشر . ونوع تغذى بالحركات الاصلاحية الدينية الت ظهرت في القرنين التاسع عشر والعشرين .

ب ــ التربية والتعليم اللذان نقلهما للخليج والجزيرة العربية الوافدو من البلاد العربية والاسلامية الاخرى . وهم فئتان : فئة نشأتها التربيـ الاسلامية التليدة (بنوعيها) فقوت في الخليج العنصر التقليدي التليد ، وف ربتها المدارس العصرية التي ظهرت في العالم العربي والاسلامي منذ عصـ النهضة الحديثة . هذه المدارس ــ كما هو معروف ــ كثيرة الاخذ على المدار الاوروبية والامريكية ، الدينية منها والعلمانية ، وان ظلت في جملتها محافظ على طابعها العربي الاسلامي .

د ــ المذاهب التربوية والتنظيمات الادارية والفنية لامور التربية والتعل التي جاء بها الاساتذة والمستشارون والمربون الاجانب والخبراء العالميون ــ ع العرب وغير العرب ــ الذين عملوا في الجزيرة العربية والخليج عـن طريـ التعاقد الفردي او البرامج الثنائية ، او المساعدات الفنية العالمية لهيئة الا المتحـدة .

د ــ البضاعة الفكرية الكثيرة المنوعة التي تبثها في الجزيرة العربيـ والخليج اجهزة الاعلام القوية : المرئية والمسموعة و المطبوعة ، في كل يوم بل وفي كل لحظة .

كان من المتوقع ان يؤدي ازدحام التيارات التربوية والنظريات التعليم المنوعة في هذه المنطقة العربية الناشئة الى نوع من البلبلة وتشتت الافكـ والفوضى ، لكن هذا لم يحدث بقدر كبير . بـل ان النهضـة التربويـة فـ الخليج حققت منجزات جديرة بالتقدير نذكر منها ما يلي :

ا ــ نجحت وزارات التربية في اقامة اجهزة قادرة على ادارة التربيـ وتصريف شئونها الفنية والمالية ، وعلى تنظيم بعض المؤتمرات والحلقـا الدراسية لتخطيط التربية وتدريب المعلمين وتطوير المناهج وامتحان الكتـ المدرسية وطبع المقبول منها وغير ذلك .

ب ــ قامت في الخليج والجزيرة العربية حدائق للاطفال ومدارس ابتدائية ثانوية وكليات جامعية ومعاهد فنية ، وحملات لمكافحة الامية ، ومؤسسات تعليم المختص بتربية المتخلفين عقليا وذوي العاهات والجانحين ، وهي كلها ماثلة لاحسن المدارس والكليات القائمة في العالم العربي ، بل تزيد عليهـا في مال الابنية المدرسية ، وغنى الاجهزة العلمية والادوات التعليمية ، وتفرغ اساتذة لتعليم الطلاب والطالبات بعناية (لندرة الازدحام في قاعات الدرس) ، الاهتمام بالفنون الجميلة والرياضة البدنية والنشاطـات الثقافية خـارج لـدرسـة .

جـ ــ ظهرت محاولات صادقة « لخلجنة » التربية والتعليم في المنطقة . ذا يعني تطوير التربية والتعليم المزدهرين الآن في المنطقة تطويرا يجعلهـا لصق بحاجات الجزيرة العربية والخليج ، واقدر على تحقيق تطلعـات لمستقبـل .

ليست (خلجنة) التربية والتعليم عملية هينة متهيئـة . انهـا تشترط جاحها التوفق الى تحقيق امور كثيرة مسبقة منها : **الاتفاق على سياسـة ربوية موحدة واضحة** ، ومنها **الاتفاق من بعد ذلك على استراتيجيات متناسقة تحقيقها** ، ومنها **القدرة والرغبة في العمل المشترك في ادارة الشئون التربوية غـيرهـا .**

من الامور المسبقة التي يشترط النجاح في تحقيقها لخلجنة التربيـة التعليم **تنمية البحث التربوي الجريء** ، على أن يشارك في القيام به مـربون بعوا من الخليج ، وتدربوا على احسن طرائق البحث المجـدي الرصـين لمبتكـر .

حقيقة الامر أن البحث التربوي الجدير بهذه التسمية موجود الان في مراحله لاولى في العالم العربي والاسلامي . لكن المختصين فيه قليل عديدهم ، تظل صائل بحوثهم الجديدة محبوسة في مراكزهم ومخابرهم ، أو مطبوعة في نشرات تصل على الاكثر الى ايدي الباحثين عنها ، المتهيئين للاستفادة منها . ويغلب لى اكثر هذه البحوث الجديدة طابع المحافظة والخوف من التجديد الجـذري لجريء وما يزال بعض الباحثين ، العرب والمسلمـين ينظرون مرات الـى لوراء ، ويلتفتون يمنة ويسرة قبل الخطو خطوة جديدة منطلقة الى الامام . بل نهم يحرصون على من يدعم خطواتهم ويبارك ابحاثهم من المربين الغربيـين ، أن التجديد والابتكار في التربية وقف على الغرب ومربيه ؟ ويتناسـون ان **لقيمة الدائمة للبحث التربوي هي في القدرة على تطبيق نتائجه ، والافادة منها فادة مغنية مشجعة .**

لكي لا يبقى هذا المقال طافيا على مستوى العموميات اسرد ، على سبـ
المثال ، ثلاثة ميادين تستأهل البحث التربوي العميق وهي متصلة بالمعلمين او
ثم بالمتعلمين ، ثم بتمويل العملية التعليمية .

ا ــ المعلمون : يتخرج المعلمون الجدد من دور المعلمين والمعلمات الت
احدثت في بلدان الخليج وغيرها . لكن عدد المتخرجين من دور المعلمين سنو
لا يسد حاجات المنطقة .. فلا بد اذن من البحث عن طرق جديدة سريعة لتدري
العدد الكافي من المعلمين . قد يكون من المستحسن التجديد في اختيار المرشح
للتعليم ، واستجلاب الراشدين (من غير طلاب المدارس) لتدريبهم تدريبـ
وافيا في دورات تربوية خاصة بهم تؤهلهم للتعليم في المدارس الابتدائية والثانو
والمهنية . وفي مشروعات مكافحة الامية . ويختار من الراشدين اولئك الذي
خرجوا لحياة العمل والكسب ، ومارسوا احدى المهن النافعة ولو لم يتمـ
دراستهم الثانوية على ان يكونوا قد بلغوا الخامسة والعشرين من العمـ
وبذلك نستغني عن النضج الدراسي وتحصيل الشهادات الثانوية والعالي
بالنضج الذي يكتسبه الانسان بالسن والتمرس بالحياة العملية ومعاشـ
الناس . ويمكن كذلك استدعاء طوائف اخرى من المواطنين الكبار لاتباع هـ
التدريب الخاص كالمتقاعدين العسكريين والمدنيين والعمال المسنين ائم
المساجد وغيرهم .

وقد تكون هذه التجربة جديدة بالنسبة للخليج ، لكنها ليست جديدة
تاريخ الاسلام . فالذين نشروا الدين الحنيف في القرون الماضية البعيدة
وعلموه للناس في المشارق والمغارب لم يتخرجوا من دور المعلمين ، بل كانو
اناسا عاديين ادبتهم مجالس الرسول عليه الصلاة والسلام او حلقات الدرس
باشراف الصحابة والتابعين ، من بعدهم والعلماء المسلمين . ولقد وفقوا
التعليم والتدريب خير توفيق .

وان كان لا بد من ذكر الغرب فلنشر الى التجربة الانكليزية عقب الحرب
العالمية الاخيرة التي نجحت نجاحا باهرا . في تدريب الكبار على التعليم في
المدارس الابتدائية والمهنية والثانوية ، واخرجت لانكلترا العدد الكثير من
المعلمين الذين احتاجت اليهم بعد انتهاء الحرب .

لقد زرت عدة مراكز لهذه الدورات التدريبية المسجلة في عدة اماكن من
بريطانيا في عامي ١٩٤٦ و ١٩٤٧ فوجدتها محققة لاغراضها تحقيقا غريبا .
وكان يتبع هذه الدورات كثير ممن ترك الجيش واجتذبته مهنة التعليم المتواضعة
وفيهم الجندي والسائق والممرضة والغسالة وعمال المطاعم والفنادق وبعض
الاطباء المتقاعدين وبعض ابناء اللوردات .

ب ــ المتعلمون : ونخص بالذكر ههنا الاطفال واليافعين والمراهقين الشبان اللذين هم في سن التحصيل (من السنة الخامسة الى سن العشرين تقريبا) . وهم فئتان : فئة حرمت من نعمة التعلم لسبب من الاسباب المعروفة ، فئة محظوظة تنعم بالدارسة في الدارس الابتدائية والثانوية والعالية . اما الفئة الاولى فقد دخلت في معترك العيش للعمل وكسب القوت بعرق الجبين . وليس هنا أمل في كسب العلم في المستقبل الا اذا تهيأ لها الانخراط في بعض الدروس المسائية او الانتساب الى مراكز مكافحة الامية . أما الفئة الثانية تتعلم في المدارس ما يفيدها وما لا يفيد ، وتسعى جاهدة في ابتلاع البرامج التعليمية الرسمية واستظهار المواد المقررة للنجاح في الامتحانات واسعاد الآباء والامهات بالنجاح . لكنها متى اتمت الدراسة وخرجت للعمل في الحياة وجدت ــ بعد فوات الوقت ــ ان المدرسة لم تهيء طلابها للحياة الحقيقية : حياة كل يوم وما فيها من مشكلات معقدة متعبة ، مادية ومعنوية واخلاقية وروحية وتنظيمية تجابه المرء ، وتجابه مجموع الامة بلا هوادة ولا لين .

وعدد الطائفة الاولى التي لم تستفد من التعليم المدرسي يفوق في الخليج عدد الطائفة الثانية فلا بد اذن من تفكير صريح في تربية هذه الفئة من الناس ، ووضع برنامج منظم مرسوم لتعليمها والاستفادة من تفجير طاقاتها الكامنة خدمة الجزيرة العربية والخليج وتسريع النهضة والنماء المتكامل .

الطائفة الاولى هي حاضر الخليج اليوم . تمثل واقعه ومادته الخام وطاقاته ومشكلاته . أما الطائفة الثانية فهي الخليج غدا او بعد غد (ونعني هنا انها شعب الخليج كما سيتكون ويتطور بعد ربع قرن من الزمان) . فان كان التعليم النظامي معنيا بهذه الطائفة فان العناية بتربية الطائفة الاولى مسألة هامة عاجلة تستدعي الحلول الناجعة والمحاولات الجديدة والبحوث التربوية الجريئة. وقد ظهر في بعض البلاد (ومنها الهند) طراز جديد لتعليم هذه الفئة من الناس يحسن التعرف اليه وتجريبه في الخليج . هذا الطراز التعليمي الجديد يتصف بأمور كثيرة منها انه يمكن الشاب (أو الشابة) من دخول الصف الدراسي الذي يناسبه في هذه المدارس الجديدة ، ويوافق مستواه الفكري والعملي دون شرط المرور بالصف الدراسي الذي سبقه .

ومنها أنها تهيىء للشاب (او الشابة) فرصة التعلم في الصف وفرصة العمل خارج المدرسة ، مدة دراسته ، كما تهيئه للانتقال الى متابعة الدراسة في صف أعلى ان رغب في المتابعة .

ومنها ايضا انها تكسب الانسان ، بالاضافة الى جملة المعارف والعلوم النظرية والارشادات الصحية ، مهارات مهنية يختارها وثقافة اجتماعية تنظيمية تسهل له الاندماج في مجتمعه والمشاركة الفعلية في نهضته .

هذا النوع (الجديد) من التعليم الذي ندعو الى تجربته في الخليج يطال به بعض المربين في ارقى بلاد الدنيا* وهو في الواقع محاولة لتصحيح انحرا وقع في تطور التربية منذ قرون في اكثر البلاد . وقد عرف العرب هذا (**الجديد** منذ (**القديم**) ثم مالوا عنه . كانت التربية قبل الاسلام مجموعة من المهارا (**السباحة والرماية وركوب الخيل**) والصفات (**حسن البيان ، والكرم**) ك العربي مطالبا باكتسابها ليحتل مكانه في مجتمع (**الراشدين**) . فلما جاء الاسا زاد على هذه المهارات والصفات **العقيدة والعبادة والاخلاق الاسلامية** وحرص على تعليمها بطريقة القراءة والكتابة بالاضافة الى الطريقة القديمة (**التلقين والتقليد**) . من سوء الحظ اهمل المتعلمون بالتدريج المهارات والصفا التي تتطلبها الحياة خارج المدرسة اكتفوا بالقراءة والكتابة والعلوم الت يكتسبونها في المدرسة وحلقات الدرس وانقطعوا لها مدة دراستهم . كما انقطع اكثر المنخرطين في الاعمال والتجارة والفلاحة والملاح والمصالح العامة عن الاستمرار في طلب العلم — بعد تركهم معاهدهم خلا للمسلمين الاوائل الذين وفقوا الى الجمع بين التعلم والعمل ، بين النشاط المجتمع وفي مجالس العلم في آن واحد .

ومما يلفت النظر ان كبار المصلحين المسلمين في العصر الحديث احيو هذه السنة الحسنة ، وهيأوا لاتباعهم سبل العمل خارج اوقات الدرس ايمانا منهم بأنها هي التربية المثلى لصنع الانسان . جاء في مقال نشرته مجلة (قافلة الزيت) في عدد رجب ١٣٩٢ (اغسطس ١٩٧٢) للشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ وزير التعليم العالي في المملكة العربية السعودية ما يلي يذكر ابن بشر في تاريخه المعروف ان « **الدرعية** » كانت تشهد في النهار البنا والعمل المتواصل ، وفي الليل حلقات التدريس التي كان يقوم بها الامام الشهي محمد بن عبدالوهاب رحمه الله . وهذه الفترة التي تحدث عنها ابن بشر هي فترة البناء الشاملة التي شهدتها « **الدرعية** » مع بداية الدعوة السلفية .

وقد وقع هذا الانحراف ايضا في اوروبا لا سيما في القرن التاسع عشر حين انتشر التعليم في القرى . كان المطلوب من ابن القرية — قبل ظهور المدرسة في محيطه الريفي — معرفة بعض الشئون الفلاحية والحيوانية وبعض النضج الاجتماعي . فلما ظهرت المدرسة اقبل ابناء الريف على حفظ المواد الدراسية والاستعداد للامتحانات والعطل ، واهمال الحياة الحقيقية ومعونة

(*) يلح الكاتب الامريكي (الفين طوفلر) في كتابه صدمة المستقبل (ترجمة السيد محمود محمود على الجمع بين الدراسة والعمل . ويؤكد ان الشباب بل وصغار الاطفال يفيدون كثيرا من العمل . مجلة العربي العدد (٢٠٥) ، ذو القعده ١٣٩٥ ، ديسمبر ١٩٧٥ .

والديهم في شئون الدار والارض استثمار مواردها . فابتعد الابناء عن الآباء في عقليتهم وطراز معيشتهم ، وابتعدت المدرسة عن خدمة المجتمع المحيط بها ، وكثرت الهجرة الى المدن هربا من (سآمة) العيش مع (الفلاحين) !

وقد عشت هذه التجربة بنفسي خلال عامي ١٩٣٤ و ١٩٣٥ حين كنت معلما ريفيا في قرية نوي بحوران (سورية) . ولما رجعت الى دمشق سألني وزير التربية عن رأيي في التعليم في حوران فقلت له : انه تعليم لا يحبه الآباء لانهم لا يحسون بنفعه لهم ولا لاولادهم ، كما أنه لا يفيد اكثر التلامذة لانه كان يصرفهم عن خدمة بيئتهم الزراعية ، وعن تقدير والديهم واسرتهم (الاميين) ويجعل الوظيفة في دوائر الحكومة ومدارسها غاية مطامعهم في الحياة !

لهذا يحسن تجريب كل الطرائق الجديدة التي تسمح للتاجر والعامل والزارع والصياد وغيرهم العودة لطلب العلم متى شاءوا ، وللطلاب والدارسين ممارسة الاعمال والتمرس بالحياة اذا رغبوا . وليس هذا النوع من التجارب بسير التطبيق ، وليس عدد القادرين على ادارته وانجاحه بالكثير . لكن هذه التجارب ممكنة جاذبة ، نجحت في الماضي ، وتنجح اليوم في بعض البلاد المتقدمة والمتخلفة ، ويجب ان تنجح في البلاد العربية ، ولا سيما في الخليج .

حـ ــ **تمويل العملية التربوية** . ما يزال رجال التعليم (واعني الرجال والنساء من المعلمين والاساتذة والمديرين والمفتشين والمسئولين عن الشئون المالية والادارية والاحصائية والبنائية والوثائق والمعامل والمخابر والتجهيزات المدرسية والخدمات الفنية والحراسة وغيرهم) في اكثر بلاد الدنيا ، الغنية منها والفقيرة ، اقل من سائر المواطنين حظا في الموارد المالية وفي مستوى المعيشة ، كما هم اقل مشاركة فعالة ــ خارج مدارسهم ــ في النشاطات الاجتماعية والحركات الانشائية التجديدية التي يتطلبها بناء المجتمعات العصرية . وفقر العلماء والمعلمين آفة معروفة من القديم . وكان يعزيهم عن هذا الفقر شرف مهنتهم وترفعهم (غالبا) عن الطلب ومحاباة اهل السلطان . وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته أن **« القائمين بامور الدين والقضاء والفتيا والتدريس أعزة على الخلق وعند نفوسهم ــ لشرف بضاعتهم ــ فلا يخضعون لاهل الجاه حتى ينالوا منه حظا يستدرون به الرزق ، ولا تفرغ اوقاتهم لذلك لما هم فيه من التشغل بهذه البضائع الشريفة المشتملة على اعمال الفكر والبدن ... فلذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب »** .

لا ريب في ان معلمي هذا العصر ، في اي بلد ، لن يرضوا بهذه الحال ، ولن يستمروا في محالفة الفقر لا سيما والحلول المنوعة لتحسين اوضاعهم المالية متهيئة وافرة . من هذه الحلول تدريب المعلمين على اكثر من مهنة واحدة.

وما اكثر المهن القائمة اليوم التي يستطيع المعلمون اختيار بعضها واتقانـ والكسب منه لزيادة مواردهم المالية وتحسين احوالهم المعاشية . من هذه المه الشريفة تأليف الكتب والمجلات المدرسية وغير المدرسية وتصويرها وتلوينهـ والعمل في المكتبات ودور الوراقين (كما كان يفعل الجاحظ) ومراكز التوثيق والاحصاء ، واستعمال الحسابات الالكترونية وجميع اجهزة الاعلام وغيرها كل هذه المهن ستستفيد حتما من تجربتهم الحياتية ومادتهم العلمية وقدرتهـ التعليمية وتمكنهم ـ في الغالب ـ من اللغة وجمال التعبير وحسن البيان . هذ غيض من فيض . وما اكثر المهن الشريفة الاخرى التي يمكن استدرار الرزق منها الى جانب التعليم ! . وقد جمع الصحابة والتابعون والعلماء المسلمون م بعدهم بين التعليم وكسب الرزق عن غير طريق التعليم ، كما قدمنا آنفا **ويعتقد بعض العلماء المختصين بعلوم المستقبل (فوتوروليوجي) ان المجتمعا المقبلة ستلزم الانسان بتغيير اختصاصه ثلاث مرات على الاقل خلال عمر يمت الى ما بعد الثمانين .**

من مزايا التجديد الذي نقترح تجربته انه يمكن الدول ـ واكثرها اليو عاجز عن زيادة مرتبات المعلمين الحالية لتكاثر اعدادهم بتكاثر السكـ والمتعلمين منهم ـ من رفع المستوى المالي والاجتماعي لرجال التعليم فيدفعه هذا الى المشاركة ـ خارج مدارسهم ـ في كل الفاعليات القادرين عليها ، لبنـ الامة ، وتسريع النهضة ، فترتفع بذلك منزلة رجال التعليم الاجتماعية والثقافي وتزداد مهنتهم شرفا وقوة .

ان كانت (خلجنة) التربية المسألة الاولى التي اخترناها للمعالجة في هذ المقال **فالمسالة الثانية هي تفادي الصدمة الحضارية** . في واقع الامر اهـ الخليج متوثبون اليوم الى نهضة سريعة تربوية علمية ثقافية . وقد تهيأ له المال المطلوب لهذا القصد ، وسهل عليهم استئجار الايدي والعقول الفنيـ الممتازة ، العربية وغير العربية ، لاستعجال نهضتهم وادراك المستوى الحضاري المطلوب في القرن الحادي والعشرين في اقرب وقت . والسؤال مطروح الآ على الوجه التالي : هل تحتاج النهضة السريعة الى ان تمر الامة التي تبغيـ ـ ولو مرورا عابرا ـ بكل مراحل التطور التي اجتازتها الامم الاخرى ، ام ا الطفرة ممكنة مغنية عن المرور باكثر المراحل ؟ ان كانت الوثبة الكبرى ممكنـ دون الحاجة الى التدرج والتطور أفلا يصاب الواثبون بصدمة حضارية تذهله وتفسد عليهم قديمهم وحديثهم ، وتزعزع ثقتهم بأنفسهم وتمحـو اصالتهـم لصعوبة الجواب على هذا السؤال يحسن بنا بيان اجزائه المختلفة والاجابـ عليها منفردة ثم مجتمعة .

لا ريب في ان العرب الذين أسلموا على يد الرسول عليه الصلاة والسلا

نشروا الاسلام ومدنيته في القرن الاول الهجري وثبوا وثبة حضارية رائعة ، قد نجحوا في الوثوب ونعم الناس بنجاحهم . لكنا اليوم امام مدنية صناعية معقدة تنامية كل يوم . والوثوب الحقيقي الى ذروتها يعني الطفرة من مستوى اهل لحرف اليدوية الى مستوى التكنولوجيا وعلوم الالكترون التي يملكها رواد لفضاء . فهل الصعود الى هذا المستوى رأسا ، صعود الصاروخ للاقمار ،ممكن لعرب عامة ولاهل الخليج خاصة ؟

يخيل لنا ان هذه القفزة العظمى ممكنة ما دامت في ميدان العلـــوم الاقتصاد والصناعات والتقنية (التكنولوجيا) . وتدل على هذا الامكان امثلـة واقعية كثيرة ، ودراسات قام بها بعض علماء الاجتماع الغربيين خلال الحرب العالمية الاخيرة حين احتاجت دولهم الى تدريب اليد العاملة (غير المؤهلة) في افريقيا وآسيا والشرق الاوسط على استعمال احدث الآلات الحربيـــة التكنولوجية وادق الاجهزة الالكترونية . ونجاح الجنود الافارقة (واكثرهم من غانة ونيجيريا) والجيش العربي الاردني (البدوي المنشأ) في امتلاك هـــذه القدرات الحديثة الصعبة امر معروف لدى الجميع .

وان قبلنا ان فنون الحروب العصرية قائمة كلها او جلها على التمكن مـــن العلم والتقنية (التكنولوجيا) والالكترونيات فان هذا التمكن قد تم اليـــوم لاسرائيل . وهي تستخدمه في غزواتها رغم انه لم يعرف لبني اسرائيل ـــ منـــذ ظهور المسيح عليه السلام الى السنوات الاخيرة ـــ تجربة قتالية او موقعـــة حربية مشهورة . وكان العدو يعتقد ـــ بدوره انه في خير وأمان ما دام التخلف العربي التكنولوجي والالكتروني قائما . وكان يظن ان العرب يحتاجون الى اكثر من نصف قرن لادراك مستواه في الصناعة والتقنيات . فلما وقعت حـــرب رمضان عام ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) اثبت العرب تفوقهم في هذه الميادين بصورة باهرة كانت لاكثر الناس مفاجأة كبرى مذهلة .

ان كانت القفزم السريعة في ميادين العلم والتقنة ممكنة فأصعب منهـــا بكثير القفز في تطوير المجتمع و (عجنه وخبزه) بالسرعة نفسها . ويتراءى لنا ان الوثوب في هذا الميدان غير مرغوب فيه ، وان الاستعجال في النهضـــة الاجتماعية غير ممكن . فان امكن كان مشكوك العواقب . وفي الامثال العربية اشارة الى ان (العنب) لا بد له من أن (يتحصرم) قبل ان يتزبب (أي يصير زبيبـــا) .

ويتجلى النضج الاجتماعي في وجوه مختلفة منها :

١ ـــ حسن السلوك . وهو مجموعة من التقاليد والعـــادات والآداب والتصرفات التي تجعل حياة الافراد المجتمعين في مجموعة او بلد او امة هينة

لينة فيها الحيوية والكرم والحلاوة والجمال ، وفيها الخصب والتقدم والسمو الى المثل العليا . وبلوغ هذه المرحلة من التطور عملية لا يمكن الاكثار من سرعتها ، بل تحتاج الى الزمان الطويل ، في كل الامم .

ب — **حرص الفرد على حقوقه والمطالبة بها بلا هوادة والدفاع عنها** دفاع الابطال ان حاول سلبها الافراد الآخرون او المجتمع او السلطات او اعداء البلاد ، **والايمان — بالاضافة الى ذلك — بان هناك حقوقا وواجبات لاصقة بالمرء ، بصفته الانسانية** ولو لم يأت ذكرها في قانون او تشريع او عقد . وان المرء يفقد انسانيته وكرامته البشرية كما يفقد معنى الحياة الطيبة ان لم يحسن الدفاع عن هذه الحقوق ، والرعاية لهذه الواجبات .

ج — **قيام الفرد بواجبه نحو افراد مجتمعه ونحو اسرته وبلده ، والسلطات ونحو البشرية بمجموعها** قياما فيه الصدق والاخلاص والمثابرة والتفاني ، والاعتزاز بالانتماء الى امته ومنطقته .

د — **الدينامية الاجتماعية** التي تكشف عن الرغبة الصادقة في التقدم والسمو في مدارج الحضارة . وتظهر هذه الحيوية التقدمية في الحركات الاصلاحية الاجتماعية والسياسية والدينية وفي مقدار دفع المجتمع لها ، ومدها بديناميته القوية .

ان كانت الوثبة العلمية التكنولوجية ممكنة ، وان كان التقدم الاجتماعي لا يمكن تسريعه ليلحق بها في السباق فان دراسة المشاكل الكثيرة الخطيرة الناجمة عن تفاوت السرعتين من أهم المباحث التي ينبغي لابناء الجزيرة العربية والخليج دراستها دراسة علمية واعية . وما احوج العالم العربي كله الى هذا النوع من الدراسات الاجتماعية المطلوبة .

أصعب من الوثوب في التقدم الاجتماعي الطفرة في الاصلاح الروحي والاخلاقي . انها طفرة عنيفة لا تكون الا بصهر معدن المجتمع وافراده صهرا كاملا وصبه من بعد ذلك في قوالب جديدة صالحة . وتزول اكثر العثرات والصعوبات التي تحول دون هذه النهضة الاخلاقية والروحية السريعة في البلاد الاسلامية التي تتخذ الاسلام الصحيح قاعدة لانطلاقها الجديد ونهضتها العارمة المستعجلة . ذلك لان عملية الصهر تمت في الماضي بفضل الاسلام ، ويقتصر العمل اليوم على التذكير بها واحيائها و تطويرها تبعا لحاجات العصر الحاضر ومتطلبات البيئة واهلها . ولا شك في أن اقبال المجتمعات الاسلامية وغير الاسلامية في زماننا على دراسة الاسلام من جديد ، بعيون جديدة تكشف لهم عن مثله العليا والفضائل الاخلاقية التي لا يتخلى عنها ، والقوى الروحية الخارقة التي يفجرها في نفوس الافراد والجماعات ليعيشوا

هذا العالم عيشة سعيدة غنية خلاقة ، تبغى العزة والاخوه في الدنيا والامل الآخرة ، كل ذلك سيكون حتما دافعا قويا لانبثاق النهضة الروحية بسرعة ية وتفجر اندفاعات التسامي الاخلاقي تفجرا يجعل (الثورة الروحية) و الوثبة الاجتماعية) و (القفزة العلمية التقنية) فيمتناول اهل الجزيرة والخليج وقت قريب .

اقرار ما تقدم معناه باختصار ان الجزيرة العربية والخليج قادران اليوم لى تعجيل النهضة الروحية والاخلاقية بالسرعة المرضية ، وعلى الوثوب وب العمالقة في ميادين العلوم والتقنة والاقتصاد ، وعلى تحاشي الصدمة حضارية في التطور الاجتماعي التدريجي ، الى حد كبير .

المسألة الاخيرة التي نتعرض لها في هذا البحث مسألة **توطين الوافدين عمل في الخليج** . وهي من اهم المشكلات التي تشغل بال المسئولين في اكثر لد الارض . وعلى الرغم من الدراسات المتقنة والسياسات الجديدة والانظمة تطورة التي ظهرت في اوروبا الغربية (ولا سيما فرنسا والمانيا وانكلترا) في سنوات الاخيرة فان هذه الدول لم تهتد فيها — على مبلغ علمنا — الى حل جع مقبول .

امتحان هذه المسألة في ابعادها العالمية اولا معين على تبين بعض صعوبات الكبرى التي تنطوي عليها . من ابرز هذه الصعوبات ما يلي : —

أ — هل تكون رعاية الدولة المضيفة للعمال النازحين اليها بتثقيفهم كما ثقف ابناءها حتى يسهل عليهم العيش والعمل في البلد المضيف ؟ تعين هذه سياسة البلد المضيف على تمثل العمال النازحين عن اوطانهم وصهرهم تبنيهم وحرمان اوطانهم منهم لا سيما بعد استفادتهم من التجارب الجديدة لمكتسبة . هذه السياسة تستهوي البلاد المتناقصة السكان لكنها لا ترضي لعمال الذين ما وفدوا للبلد المضيف للمعيشة الدائمة كما انها لا ترضي بعض لطوائف من اهل البلد المضيف ان كان لهذه الطوائف رأي خاص في (عرق) لعمال أو (لونهم) او (لغتهم) او (دينهم) او (المذهب السياسي الاقتصادي) وطنهم الاصلي .

ب — هل الاولى بالدولة المضيفة تزويد العمال النازحين بثقافتهم الاصلية تمكينهم من تعلم لغة اوطانهم لكي يظلوا بها متصلين متعلقين مستعدين دوما لعودة اليها ؟ هذه السياسة كثيرة التكاليف لانها تتطلب — بالاضافة — تعليم لعمال لغة البلد المضيف (وهذا امر لا بد منه لحياتهم في الغربة) وتدريبهم فنيا لى بعض الاعمال المطلوبة منهم اذ يقل نفعهم بدون هذا التدريب وتزول الحاجة ليهم . هذا الازدواج في تعليم اللغتين وفي التثقيف وفي التدريب يجعل هذه

الطائفة من العمال كثيرة النفقات غالية الثمن لا تشجع ارباب العمل على استئجارهم .

تزداد مصاعب هذه السياسة اذا غير العمال رايهم وعدلوا عن العود الى أوطانهم وآثروا الاستقرار في البلد المضيف بعد ان اتخذت الدولة المضيفة كل الاجراءات والتعهدات لارجاعهم لاوطانهم بعد مدة معينة من الزمن . ا احجمت الدولة المضيفة عن ردهم لبلادهم خالفت الاتفاقات الثنائية التي وقعت مع حكومات بلادهم ؟ وان اجبرتهم على العودة لاوطانهم خالفت مباديء حقو الانسان التي تنص على حق المرء في اختيار البلد الذي يشاء الاقامة الدائمة فيه

حـ — هل تكون أسهل الحلول بترك العمال النازحين ينظمون شئونه المعاشية وحدهم دون تدخل الدولة المضيفة ؟ لقد طبقت دول اوروبا الغربيـ هذه السياسة منذ اربعين عاما او اكثر فلم تنجح . بل فشلت ونجم عنها كث من الاخطار حين ظهرت حوالي المدن الصناعية التي تستخدم العمال الاجان بؤرات لسكنى العمال فيها جهل كثير ، وفقر مدقع ، ومرض متفش ، واجرا مستمر ، وامتناع غريب عن الاستفادة من الحضارة المحيطة بهم لقلة اتصالهم بـ الا في ساعات العمل .

زد على ذلك أن التباين الحضاري بين هذه الفئة من العمال وأهل البلـ المضيف ادى الى ازمات واصطدامات بين الطائفتين تميزت بأعمال العنـ والقمع والاضطهاد والحقد العنصري والوطني والديني ، وقد اتفق اكثر الذي درسوا نتائج هذه السياسة على أنها فاشلة مؤذية للجميع .

أما في الخليج فيبدو لنا أن السياسة الواجب اتباعها ازاء اليد العاملـ الوافدة والاقليات النازحة لمنطقة الخليج يصلح ان تقوم على الاصول التالية :

أ — منح الجنسية الخليجية (اي جنسية البلد الذي يعمل فيه الوافدون بعد عدد من السنين (تعينه الهيئات الحاكمة) متى استوفوا الشروط (التـ تعينها ايضا الهيئات الحاكمة) وفي اولها تعلم العربية واعلان الرغبة في الاستقرا في المنطقة استقرارا نهائيا .

ويمكن — قبل منح الجنسية نهائيا — تحديد فترة زمنية كافية للمراقبة يثبت فيها الراغب في الاستيطان صدقه ، وصلاحه لخدمة البيئة ، واستعداد للانصهار في بوتقتها انصهارا يضمن للمجتمع الخليجي استمرار تجانسـ وتمـاسكه .

ب — تشجيع اليد العاملة العربية ولا سيما تلك التي تفيض اوطانهـ بالسكان على العمل في الخليج والاستيطان به من بعد ذلك — اذا طاب لهـ المقام . من محاذير هذه السياسة ، في راي بعض القادة ، انها تنقل الى الخلي

ل الخصومات السياسية والحزبية والعقائدية التي تتخبط بها البلاد العربية ب الشرق الادنى . هذا التخوف مقبول قد يدعمه الواقع . انما واجب القادة ب الخليج خلق مجتمع يضمن لافراده جميعا الحرية والكرامة وكسب العيش لشريف . اذا قام هذا المجتمع — والمجتمع القائم ليس عنه ببعيد لا سيما متى نمل كل الساكنين للخليج اليوم — استطاع الخليج حينئذ الاستفادة من الراغبين ي التوطن استفادة حقيقية ايجابية بناءة تصرفهم غالبا عن خصوماتهم النظرية القديمة . وهذا ما جرى — وما يزال يجرى في الولايات المتحدة الامريكية وكندا والبرازيل والارجنتين واستراليا . يطيب فيها العيش للمهاجرين ويستوطنون من تلقاء انفسهم ويعتزون بالوطن الجديد والجنسية الجديدة ، ويتفانون في خدمته ، والدفاع عن مصالحه ويدعون احبابهم للنزوح اليه دون ان ينسوا وطنهم الاول ورعاية مصالحه والحنين اليه ، وزيارته بين الحين والحين .

وقد قابلت كثيرا من العرب في البلاد الآنفة الذكر اثناء زيارتي لها منذ اعوام قليلة فوجدتهم مفتخرين بالوطن الجديد متعلقين به رغم حنينهم الى اوطانهم البعيدة .

د — بناء المجتمع على اساس من الانتماء القومي ذي الابعاد الانسانية والعالمية بفضل قواعده الاسلامية . من الثابت المعروف ان المرء يحن لاصله ويفتخر بماضيه وبأجداده ويتخذ هذا الافتخار علامة يتفرد بها عن الآخرين . هذا أمر مستقر في الطبيعة الانسانية في كل البلاد وفي كل العصور . ومن المستحسن احترامه ومراعاته ، ومن الواجب فهمه وقبوله . بل من الخير تشجيع المستوطنين الجدد على التمسك بلغة الوطن الاول وعاداته وازيائه والتباهي بأمجاده بل وعلى متابعة اخباره وتطوراته وزيارته بين الحين والحين . ليس من ضير في كل هذا ، بل فيه الصلاح والخير مادام المستوطن (الجديد) صادقافي تعلقه لعصبيته(١) (الجديدة)، شاعرا شعورا عميقا بانتمائه الى مجموعة بشرية (جديدة) هي اهل الخليج ، راضيا فخورا بهذا الانتماء (الجديد) .

وستزداد العصبية الخليجية قوة وجاذبية وقدرة على صهر ابنائها الجدد كلما تقدمت حضارة الخليج وانطبعت بالحرية والكرامة وفسح مجال العيش الكريم للمستوطنين ، وكلما انكشف لاهل الخليج تاريخه الحضاري القديم وبرزت اصالته العميقة الجذور في التاريخ . وتصبح العصبية الخليجية من اقوى العصبيات اذا قامت على قواعد العروبة والاسلام . وهي عصبية قوية غنية واسعة محيطة صمدت على ضربات الزمان وتوالي الحدثان .

لقد كان للعرب في الجاهلية عصبيات ضيقة مختلفة تقوم على القبيلة ا
الموطن او الدين . وقد استطاع الرسول الكريم جمع اواصرها في عصبية اكب
واوسع واسمى أهدافا وهي العصبية الاسلامية فضمن بفضل هذا الاطار المتير
الواسع وحدة العرب اولا ثم وحدة العالم الاسلامي . وما تزال هذه الوحـد
قائمة تزداد عزما وحياة ويزداد المسلمون بها وعيا كل يوم رغم ما حل بالمسلمين
من انحطاط اقتصادي وسياسي واجتماعي قبل عصر النهضة ، ورغم سوء فهم
كثرة المسلمين لحقيقة دينهم القويم .

بعد دراسة المسائل الخليجية الثلاث المتقدمة الذكر من زواياها التربوية
يمكننا ـ لتخليص هذا البحث ـ ان نقرر أن (خلجنة) التربية أمر بدأ يتحقق .
لكنه لا يبلغ تمامه ولا تسرع خطواته الا بدراسات مفصلة محكمة ، وقـرارات
واعية رشيدة ، وأن طفرة الخليج والجزيرة العربية الى المستوى الحضاري
الذي يتطلبه هذا العصر امر ممكن انما يحتاج الى دراسات فاحصة وتفكير
عميق ، وأن (خلجنة) الوافدين امر محمود مطلوب ما دام مراعيا لمستقبل
الخليج وعروبته وتجانس ابنائه وتماسكهم كالبنيان المرصوص . انما تحتاج
هذه السياسة الى دراسات جيدة متصلة وتفكير ثاقب مستمر .

نخلص من كل هذا الى اقتراح تحقيق أمرين تكشف هذه الدراسة عـن
ضرورة القيام بهما كشفا واضحا : اولهما **(احداث مركز اقليمي خاص بالخليج
والجزيرة العربية للتوثيق والاعلام يجد فيه الدارسون كل ما كتب عن الخليج
من كتب ومجلات ومباحث جدية وكل ما ادخرته عن الخليج وسائل السمع
والبصر الاعلامية كالصور والافلام والافلام المصغرة والتسجيلات الصوتية من
غناء وشعر وملاحم واقاصيص وغيرها .**

**والثاني تأليف هيئة خاصة من مفكري الخليج تغرف من المعرفـة التي
يكتنزها المركز ، وتفرز عليها عصارة التفكير الحديث وتتابع الدراسات الجيدة
للمشكلات الخليجية** كالمسائل التي ركزنا عليها هذا البحث وغيرها وتقدم للناس
عامة ولا سيما لاهل المنطقة حلولا وتوجيهات ومقترحات الغرض منها تعجيـل
وثبة الخليج الحضارية ومجاراة الامم المتقدمة .

فاذا تحقق هذان الامران وكانت ساحة عملهما الخليـج بمجموعـه
واطردت اجتماعات الهيئة الخاصة المفكرة بقضايا الخليج الكبرى (ولا سـيما
التربوية منها والاجتماعية) وظهرت بفضلها دراسات جيدة ومقترحات جـديدة
خصبة كانت نتائجها بعيدة المدى واكثر مما يخطر على البال .

هامش :-

) ظهرت كلمة (العصبية) في كتب الطبقات منذ القرن الرابع الهجري للتعبير عن روح التضامن الذي يبلغ درجة التعصب بين افراد المذهب الواحد . وقد جعلها ابن خلدون الفكرة القائدة لنظريته التاريخية لانها القوة التي تربط بين بشر معينين تجمع بينهم قرابة الدم او الموالاة بحيث تدفعهم الى التآزر والتعاضد . وهي تمتاز بتقديم العون المطلق لجميع اعضاء المجموعة المتحدة (سواء اتحدت لاغراض سياسية او دينية او اجتماعية او مالية او غيرها) والطاعة لقيمها الاخلاقية طاعة كاملة تعمي ابصارهم عن نقائص المجموعة ونقاط ضعفها . وهناك عصبيات ضيقة وعصبيات واسعة تجمع العصبيات الصغيرة وتؤلف بينها . ومن اقوى العصبيات تلك التي تشد اواصرها الدوافع الدينية . وتتصف العصبية الاسلامية بأنها تفسح ، في اطارها الواسع ، مكانا رحبا كريما للذين يعيشون في نطاقها من الذميين (أي : غير المسلمين من أهل الكتاب) .

***

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

توزع في اكثر من ٣٠ بلدا عربيا واجنبيا

مرجع لا غنى عنه للدارسين والباحثين والمهتمين بمنطقة الخليج والجزيرة العربية لما تشتمل عليه من :—

دراسات موضوعية تتناول شئون المنطقة المختلفة .

وثائق وتقارير ويوميات شاملة ومراجعات هامة .

بيبليوجرافيا ترصد اوسع دائرة من الكتب والمقالات والدوريات المتعلقة بالمنطقة .

يصدر العدد القادم في مطلع كانون ثاني (يناير) ١٩٧٧

الثقافة العربية

ثقافة عربية صميمة وفكر انساني متفتح

مجلة شهرية جامعة - تصدرها المؤسسة العامة للصحافة في الجماهيرية العربية الليبية

رئيس التحرير : محمد علي الشويهدي

يشترك في تحريرها نخبة من كبار المفكرين والكتاب والشعراء العرب

نحو ١٣٠ صفحة من القطع الكبير تحوي مجموعة من المقالات والدراسات الفكرية والأدبية والقومية والاقتصادية والعلمية ، إلى جانب الأبواب الثابتة من شعر وقصة وفنون .

ثمن العدد : ليبيا ١٠٠ درهم • ج م ع ١٠٠ مليم • سوريا ١٠٠ قرش • لبنان ١٠٠ قرش • الكويت ١٥٠ فلسا • الاردن ١٠٠ فلس • العراق ١٠٠ فلس • البحرين ١٥٠ فلس • دبي : ريال ونصف • السعودية : ريال ونصف • ابوظبي : درهمان • مسقط ٢٠٠ بيسه • قطر : ريال ونصف • السودان ١٠٠ مليم • الجزائر : دينار • تونس ١٠٠ مليم • المغرب : درهم ونصف • عدن ١٥٠ فلسا • اليمن ١٠٠ بقش

الاشتراك السنوي : في الجماهيرية العربية الليبية : ١,٢٠٠ درهم ليبي ، وخارج الجماهيرية العربية الليبية : ١,٢٠٠ درهم ليبي مضافاً إليها اجور البريد

العنوان : مجلة « الثقافة العربية » ص.ب. ٤٨٤٥ - طرابلس ج.ع.ا